

## النص الملتزم في الشعر الموصل المعاصر خصوصية الرؤية والتناول

د. محمد سالم سعد الله \*

### ملخص البحث:

وُلدت شعرية النصوص الملتزمة في الموصل بوصفها ظاهرة تستحق الدراسة، وتمنح المتابع رهانات شعرية حمّلت خطيئة اللغة، وأعلنت خصوصية في الطرح والتناول وحركة الفعل في النص.

قدّم الشعراء الشباب في الموصل إمكانيات هائلة-كمّاً ونوعاً-في النتاج وشكّلوا ظاهرة أُطلق عليها هنا ظاهرة: (النص الملتزم) إذ عمد هؤلاء الشعراء إلى رسم خصوصية ذاتية في بناء النص، ومنح أنساقه وبنياته تفرّداً وميزة لا تكون إلا لذات مبدعة مخصصة، وما نعنيه بـ(النص الملتزم) توجه الشاعر إلى تبني ثيمة دلالية إنسانية تعالج مشاكل وهموم اسنينة انطلاقاً من معاشية الشاعر للتجربة مضمناً إياها في نصوصه كلّها حتى يُعرف بها، وفي هذا استراتيجيّة جريئة ومبدعة في تقديم فلسفة الشاعر الملتزم نحو متغيرات الواقع المعيش أولاً، والتنديد بسكون الدلالة في النهج الكلاسيكي لكتابة الشعر ثانياً، وتقديم دلالات مستقبلية تحمل بذور التغيير والتفاؤل بالمستقبل ثالثاً انطلاقاً من تقديم المشكلات الإنسانية ومعالجتها فنياً من خلال رؤى إسلامية وعقدية ملتزمة بحمل الهم الإنساني، ومحاولة تقديم حلول ناجعة له.

لقد فرض الواقع العراقي التسعيني المتأزم، المكتسي ثوب الحروب، والمتلون بلون الدم، والجناح نحو تمثّل كلّ الدلالات المتعلقة بالقتل والانتقام الممزوجة بقيم العروبة والتضحية والدفاع عن الشرف والمال والعرض، فرض كلّ ذلك تحديد الثيمات الشعرية التي أظهرت الشعر بوصفه ميدان العزاء، والبكاء، والترحم على القيم، ووداع الإنسانية العالمية التي لم تصغ إلى نداء العقلاء بوقف مسلسل نزيف الدم، وإعطاء الناس فرصة التمتع بالحياة الحرة الكريمة.

\* مدرس/ قسم اللغة العربية/ كلية الاداب.

دراسات موصلية - العدد الخامس عشر - محرم ١٤٢٨هـ / شباط - ٢٠٠٧م

سنعمد في هذه الدراسة إلى اختيار نماذج متنوعة، عالجت مشاكل وهموم انسانية من منطلقات النص الملتزم بالكلمة الموظفة الهادفة غير المترفة، كلمة قدمت الفائدة والمتعة في آن معا، منبهين إلى أنّ هذه النماذج تمثل تجارب شعرية تحمل خصوصية في الرؤية، ومزية في التناول، وجدية في السعي نحو حرق المراحل الواقعية شعرا، وتقديم المقاصد من خلال لغة تتساب انزياحا ومقصدا، وجنوحاً نحو دراما تعقلن الدلالة، وتمنح التجربة الذاتية منازل يتعدد فيها المعنى ويتسع، ولم يحصر الشكل الشعري نفسه في هذا المقام بنوع معين، فقد كتبت الشعراء بأشكال الشعر التقليدية والحديثة والحداثية، ولم يكن لنص فضل على آخر انطلاقا من الشكل، إنما رُسمت مزية النصوص من منطلق إمكانيته في حمل المعنى وتقديمه.

لقد اصطبغت النصوص المختارة في هذا البحث بمعالجة أفق التأمل والتفاؤل وهذا ما منحها سمة وخصوصية في الطرح والتناول، وثمة توقع لأشياء ستحدث، وثمة انتظار لمقاطع ومفارقات تحمل في طياتها انتعاشات الوجدان الشعري، إنها الذات الشعرية الملتزمة بتقديم الهم الإنساني المتفق مع التصور الإسلامي في الرؤية والتناول.

#### **Abstract**

The Young poets in Mosul give mighty chances in literary resulting , finalise them is phenomenon: (the abider text).

The poets describe self exclusive in the structure text , and give the structure and contexte finalise.

We insertion hereupon this subject is flying poets to adoption semantical them humanity which attend to problems and humanity preoccupations free living from the poets cohabiting for experience which i twas in his texts.

This the papers discussing futuristic denotations tolevance islamitic meanings and knobably committed by humanity cares , and attemptability giving solutions for therfore.

لا تنقيد الدلالة الشعرية بسكونها، ولا تلتزم بحرية المعنى المشاع، ولا تلجأ إلى تحديد مدلولها، لأن نشاطها يكمن في تعدد معانيها، نظرا لتعدد القراء واختلافهم، ويمنح النص الشعري نفسه مفاتيح دقيقة تسهم في ولوج بنيته، التي تكتنز تجارب إنسانية يتعايش معها الناص، وتقف بين ثنائيات الحياة بين (إفعل) و (لا تفعل)، ثنائيات ترسم المواقف، وتقدم الدلالة، وتشكل شعرية مبنية على مفارقات الواقع المعيش ونوادره.

تتطلب الدلالة الشعرية في النص الملتزم تأملاً إنسانياً يتعلق بمعايشة الذات للخارج، وتعطي أحكامها حول القيمة والقيمة المعاكسة، اللتين تسهمان بشكل كبير في رسم خصوصية الذات الشعرية في إبداع النص وإيجاده، فضلاً عن تحديد مسارات النص في ثيمات معينة تختزل تجربة الزمان والمكان، وتقدم رؤية حبلية بتصورات متنوعة، ومعانٍ ما ورائية، مفعمة بالحيوية والتجدد على الرغم مما تعانيه من ضياع في الواقع، وتأزم في الممارسة.

وفي هذا السياق ولدت شعرية النصوص الملتزمة في الموصل بوصفها ظاهرة تستحق الدراسة، وتمنح المتابع رهانات شعرية حملت خطيئة اللغة، وأعلنت خصوصية في الطرح والتناول وحركة الفعل في النص.

قدّم الشعراء الشباب في الموصل إمكانيات هائلة-كمّاً ونوعاً-في النتاج وشكّلوا ظاهرة أُطلق عليها هنا ظاهرة: (النص الملتزم) إذ عمد هؤلاء الشعراء إلى رسم خصوصية ذاتية في بناء النص، ومنح أنساقه وبنياته تفرداً وميزة لا تكون إلا لذات مبدعة مخصصة، وما نعيه بـ(النص الملتزم) توجه الشاعر إلى تبني ثيمة دلالية إنسانية تعالج مشاكل وهموم إنسانية انطلاقاً من معايشة الشاعر للتجربة مضمناً إياها في نصوصه كلّها حتى يُعرف بها، وفي هذا استراتيجيّة جريئة ومبدعة في تقديم فلسفة الشاعر الملتزم نحو متغيرات الواقع المعيش أولاً، والتنديد بسكون الدلالة في النهج الكلاسيكي لكتابة الشعر ثانياً، وتقديم دلالات مستقبلية تحمل بذور التغيير والتفاؤل بالمستقبل ثالثاً انطلاقاً من تقديم المشكلات الإنسانية ومعالجتها فنياً من خلال رؤية إسلامية وعقدية ملتزمة بحمل الهم الإنساني، ومحاولة تقديم حلول ناجعة له.

لقد فرض الواقع العراقي التسعيني المتأزم، المكتسي ثوب الحروب، والمتلون بلون الدم، والجناح نحو تمثل كلّ الدلالات المتعلقة بالقتل والانتقام الممزوجة بقيم العروبة والتضحية والدفاع عن الشرف والمال والعرض، فرض كلّ ذلك تحديد الثيمات الشعرية التي أظهرت الشعر بوصفه ميدان العزاء، والبكاء، والترحم على القيم، ووداع الإنسانية العالمية التي لم تصغ إلى نداء العقلاء بوقف مسلسل نزيف الدم، وإعطاء الناس فرصة التمتع بالحياة الحرة الكريمة.

لقد وقف الشعر التسعيني الموصلية أمام هذا التراكم، وأخذت المقاصد تترى على نتاجات الشعراء حتى اصطبغت الساحة الشعرية بصناعة الذات، وقُدّمت الأعمال التي فاضت حرفة وفنا وإبداعاً، نظراً لاتساع الرقعة، وامتداد النصوص، سنقف في هذا المقام على نصوص مختارة

على سبيل الانتقاء والتمثيل-لا الحصر-وربما سنسعى مستقبلاً إلى تطوير هذه الدراسة لتشمل نصوصاً أخرى، ولتغطي مساحةً أوسع من هذه.

سنعتمد في هذه الدراسة إلى اختيار نماذج متنوعة، عالجت مشاكل وهموم إنسانية من منطلقات النص الملتزم بالكلمة الموظفة الهادفة غير المترفة، كلمة قدمت الفائدة والمتعة في آن معاً، منبهين إلى أنّ هذه النماذج تمثل تجارب شعرية تحمل خصوصية في الرؤية، ومزية في التناول، وجدية في السعي نحو حرق المراحل الواقعية شعراً، وتقديم المقاصد من خلال لغة تتسابق انزياحاً ومقصداً، وجنوحاً نحو دراما تعقلان الدلالة، وتمنح التجربة الذاتية منازل يتعدد فيها المعنى ويتسع، ولم يحصر الشكل الشعري نفسه في هذا المقام بنوع معين، فقد كتب الشعراء بأشكال الشعر التقليدية والحديثة والحداثيّة، ولم يكن لنص فضل على آخر انطلاقاً من الشكل، إنما رُسمت مزية النصوص من منطلق إمكانيته في حمل المعنى وتقديمه.

إن إيماننا بإمكانية التوجهات الإسلامية من استيعاب القضايا الإنسانية بشكل عام، ومحاورة المشكلات التي تعاني منها الإنسانية المعذبة على هذه البسيطة، جعلنا نذهب إلى تحديد الأدب الإسلامي بشعره ونثره بالأدب الذي يتناول المشكلات والتوجهات الإنسانية العامة، التي تعالج التصورات المناسبة والمتفكّة للتوجهات الإسلامية للإله والكون والحياة والمجموع<sup>(١)</sup>.

وجدير بالذكر أن الالتزام في الشعر الإسلامي لا يقاس بالمقاييس التي وضعتها التوجهات الأخرى، فالشعر الإسلامي شعر التزام بالإسلام: التزام بالكلمة، التزام بالعقيدة، التزام بالسلوك، انه شعر يقوم على تصور متكامل مما يجعله متألف مع الأرض والسماء وما حوتهما من تناسق لا يدركه إلا المؤمنون ومحبة لا يتذوقها إلا الصادقون<sup>(٢)</sup>.

يقوم الالتزام على الاختيار بعد معاناة تنهي بمرحلة وعي الذات، وهي مرحلة تجريبية تمارس قناعاتها بحرية الأمر الذي يحدد للأديب خصوصيته، ويميز شخصيته، ويهب لأسلوبه وخياراته، فإن اجتاز الشاعر مرحلة الالتزام باختيار وقناعة، فإنه سينتهي إلى مرحلة الإلزام<sup>(٣)</sup> انطلاقاً من قوله تعالى: (والزمهم كلمة التقى وكانوا أحق بها وأهلها)<sup>(٤)</sup>، وقد حدد بعض الباحثين هذه المرحلة من خلال محاور ثلاثة<sup>(٥)</sup>:

١. مرحلة وعي الذات وتحقيقها.
٢. مرحلة الالتزام.
٣. مرحلة الإلزام.

إن الشعر الإسلامي صياغة لتجربة حياتية بصياغة فنية موحية من خلال التصور الإسلامي، ومن المهم القول ان الالتزام بالتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان لا يعني تقييد حرية الشاعر، وإنما تتطلب طبيعة وجوده في الحياة-كانسان سوي-ان يتعامل مع من فيها، ثم يكون له موقف منها يتجلى في تعبيره في ضوء قيم الإسلام ومبادئه<sup>(٦)</sup>.

وقد ارتبطت قضية الالتزام في الشعر الإسلامي بقضايا أخرى منها: (الانفتاح، والكونية، والإنسانية، والجمالية)، وتكتسب هذه الخصائص مشروعيتها من خلال منطلقات ثلاثة هي: (المنطق الشرعي، والمنطق التاريخي، والمنطق الأدبي)<sup>(٧)</sup>.

ومن النصوص المختارة في هذا السياق التي تشكل مفصلاً من مفاصل ظاهرة النص الملتزم في شعر الموصلي المعاصر:

١. نصوص الشاعر: أحمد جار الله ياسين / (بؤرة المفارقة).
٢. نصوص الشاعر: جاسم محمد جاسم / (بؤرة الحلم).
٣. نصوص الشاعر: خالد اليساري / (بؤرة التأمل).
٤. نصوص الشاعر: حاتم حسام الدين / (بؤرة التطلع).
٥. نصوص الشاعر: عمر عناز / (بؤرة الأمل).
٦. نصوص الشاعرة: الآء عبد الواحد / (بؤرة الحب والحرب).

نسجت الأعمال السابقة هموماً إنسانية عدة، وقدمت نماذج صناعة الذات انطلاقاً من البحث عن إشكالية الحقيقة ومحنة المعنى، ويمكن تحديد البؤر الرئيسة للأعمال السابقة من تصوراتها لمكابدات عدة بدءاً من معاناة الكلمة، وجراح الحروف، مروراً بأزمة الإنسان ومحنته في الصراع مع الممارسات اللإنسانية والتهميش الفعلي لدوره في بناء مسيرته، وانتهاءً بتقديم صور التحيز ضد المحبوب-أيًا كان نوعه وشكله-من صانعي الدوال، وسارقي المدلولات متخذاً أشكالاً متنوعة من سلاح وخطاب إعلامي مبطن ومغالطات لا تمت للحقيقة بصله فضلاً عن تبايرح الحصار التي قيدت الضفاف واقتلعت شجر الحياة وضيعت لذة اللإنسانية ونثرت نداءاتها السريية. لكنّ الحلم الإنساني وتوقه إلى ممارسة إنسانيته سيلتهم همومه ويدفن مكابداته انطلاقاً من اختيار تحقيق الذات الشعرية في النماذج السابقة، فمشكلة القضية الإنسانية مشكلة عطاء ونقاء، أمل وإشراق، اتساع وامتداد، أفق ورؤى، وهذه مشكلة ستقتص من عوائقها لتواصل تطلعها نحو الأفضل.

تبدأ النصوص مآسيها من خلال إضفاء الحركة على الدوال المتمثلة بقصدية (العنونة)، هذه الحركة قضت على سكونية المدلول، وأضفت تقديم الواقع المعيش من خلال تمثل مستوى الدلالة التصورية انطلاقاً من العنوان، وقد صنعت مكافئات لها بوصفها علامات تنبئ عن المسبب المساوي للظلم، والنتيجة هي القيد الذي يكبت الأنا.

وقد أدى تكثيف ميكانيزمات منظومة (الفعل) التي تقف على اهتزازات مفعمة بالحركة إلى إنتاج دلالات عدة وتتنظم تأويلات مختلفة لفضاء النص، فقد هيئت الأفعال المضارعة الدالة على استمرارية الحدث وتصاعده في أنساق تركيبية تنبئ عن تأجيل متواصل لمعانيها المعجمية، وحركة لا تعرف التوقف، إنه (الأمل) الذي منح نصوص (عمر عناز) مشروعية التساؤل والاستفزاز:

الأرضُ أُمُّكَ،

كنتُ تُمسِكها لكي يقفَ المكان،

وكانت الطرقاتُ تركزُ فيكَ

والأسماءُ

وأوجهُ الأطفالِ

والحلوى

ورناتُ الجرسِ،

رنَّ الجرسُ،

وما زالَ المكانُ يُدوّرُ في دماكِ ناعوراً

يعبُّ تنهداً،

وتوجساً

ويسكبُ في يدِ الدنيا

أغانٍ

من مطرٍ<sup>(٨)</sup>

وفي تمثل آخر قدمت صور تسلسل دلالي استند إلى مرجعيات شتى تلك المرجعيات التي تناصت مع الألم مكونة معولاً لهدمه، وقد تشكلت تلك التناصت لخدمة معطيات حضارة النص في إطار ثنائية (الحركة والسكون)، الحركة التفاعل والتواصل، والسكون الاستسلام والتوقف:

أمتدُّ بين الموتِ والجدوى

ولا جدوى الحضورِ فكلُّ ذاكٍ مُكرَّرٌ

مُتَشعِبَ الأزماتِ غاباً من أسي

ملاء العيونِ كأنَّ قلبي مِسْعَرٌ<sup>(٩)</sup>

إن المعاني الإنسانية التي تعبر عن ثقل التجربة وعظيم المحنة تجيء في إطار موجهات للتمجيد والتذكير فمهما حاول الواقع بعداباته أن يخفي أو أن يطمس معالم الأنا أو أن يعيث بها بأصابعه الملوثة، فلن يجرؤ على تغييرها، ويبقى السؤال السر الذي يلف جنبات الإنسانية ويُقبل وجناتها، السر الذي ينسج الخيال ويقدم المعطيات، السر الذي شكله حلم حضاري تمتد نقاطه إلى سنين موعلة في رحم التاريخ سيعمل على نشر العدل، وإسدال الستار على آخر خشبة توضع لقطع الرقاب ودحرجتها، إنه (التطلع) الذي أعطى الشاعر (حاتم حسام الدين) إعلاناً عن قيم الفصل مع الآخر لتحقيق الذات التي ستحترق شعراً وإبداعاً:

الشوارع تبصق على قدمي

الأوراق تشتم قلبي

الفتيات يتهن في قلبي

(أخرهن أرادت قلباً بحجم كفها)

المنصة طلقت صوتي

ربما الآن علي أن احترق<sup>(١٠)</sup>

اتخذ شعر الشباب التسعيني في الموصل شكلاً من أشكال المقاومة للهم الإنساني تمثل باستخدام (المفارقة) التي قدمت شعرية الحب المساوية للإنسانية المعذبة، ومحاولة تجاوز ذلك بتصيد الكلمة المشحونة وتكثيف الدلالة التي ستصنع فضاءات المشهد الفردي المجابه لتلك المكابدات.

ويمكن القول إن التصاعد الدلالي المنحرف المتمثل بدوال (ملغومة) قد نسج نصوص الشاعر (أحمد جار الله) كلها، وقد أعطى هذا التصاعد مجالاً رحباً لاشتغال المفارقة وكسر أفق التوقع، هذا فضلاً عن الإيقاع الداخلي الذي أفرز شحنات متواصلة أعطت دفقا دلالياً شد النظام النصي وقدمه بصورته المتزنة:

حضرت امرأتان إلى ذاكرتي

طرقنا الباب.. عدة مرات

لكني لم اخرج

كنت مشغولا

بحب امرأة تالثة

لم ولن تأتي أبدا<sup>(١١)</sup>

تغدو أيديولوجيا المظلوم بركانا يثور ليصهر نفسه، النص هنا (نص توالدي) يحوي مجموعة وحدات خطابية تشكلت لتقدم المضمون النفسي وتعبّر عن مدلولات قد تكون غير محدودة لرسم مستقبل الانتظار، ومحاولة لتجفيف الصبر:

صادقت أسدا شرسا

كي يأكل أحزاني

ولكنني بعد عام

وجدت أحزاني الشرسة

ثلثهم صديقي الأسد الأليف<sup>(١٢)</sup>

يقدم أسلوب الحكّي صيغا منطقية استهلالية تمنح هوية للفكر في صياغة الحكم لكن سرعان ما ينعطف هذا الحكم ليقدم مفارقة تدرج ضمن حضور الهم وغياب الإنسان، فضلا عن أن تبادل الضمائر يشكل بناء أسلوبيا، ومنبها لانتقالات الدلالة وتلونها:

من النافذة المغلقة

أتسلل نحو غرفتها

أفتش عنها

وحيثما أفتش في العنور عليها

أصنع لي فنجان قهوة مرة

أسكب فيه نفسي

قطرة.. قطرة<sup>(١٣)</sup>

يكمن الصراع في نصوص الشباب بين (ألانا) البريئة التي تقدم إنسانيتها بمواصفات عالية وبين (الهو) وليد الواقع الذي يتحدث عن أزمة الحقيقة بلا وجل، الحقيقة التي لفت أطراف



الحكي، وانتظمت وحداتها السردية في حركة لولبية، تشد القارئ وتجعله رديفا للعمل الإبداعي  
مشاركاً له:

من دون قصد

قد تخطىء المعلمة

فتقول للتلاميذ: أحبوا

بدلاً من قولها ادرسوا

فيتخرج من الصف

بعد سنين

بضعة شعراء!<sup>(١٤)</sup>

حتى القيم الإنسانية النبيلة قد تتحول في لحظة من اللحظات في سكونية اليأس، وملل الانتظار  
إلى شوائب قد تبعد أكثر مما تقرب وتتفر أكثر مما تحتضن، تلك الأحزان التي رُسمت بريشة  
الهم الإنساني الذي لم يزل يقبع خلف مستقبل مجهول، ويلتف بعباءات الماضي الرثة ليصل إلى  
إنسانية معذبة تدعم الفراغ وتأمل بالقدام، إنها نصوص الشاعر (خالد اليساري) التي تشع إبداعاً  
بضمير الأنا / (تاء الفاعل) ليرسم ذاتاً شعرية:

وكنت ألف كريم في دمي يغل

أنا الذي كنتُ فيضاً في جداوله

أسائل الأرض هل في طلعتها خجل

واليوم اكشف راسي حدّ هامته

إن جفّ دمعِي فلا ابيضت بك المقل<sup>(١٥)</sup>

يا حزن يعقوب موت الأرض أجمني

حتى الإنسانية غدت سباتاً وباتت البراءة والنقاء والطهر تحمل فتاديلها المظلمة لتشعل جنبات  
الليل البهيم إنها محاولات فاشلة لتفسير الأمل ومحاولات قادت النص إلى الاعتراف بفشله أمام  
غياب الموازنات واختلاط المعايير وازدواجية الفكر والسلوك، ثم الانصهار أمام الأنا الأكبر  
والأعلى وهي أنا (الوطن) المسلوب احتلالاً، والضائع بين محبيه ومنافقيه:

هذي قبلائك يا وطني

تطبع في جسدي أنات حمراء

وصراخا لا يعرف أي الأصداء تعود له

وطني بددت الحلم المبدول على شفتي

في لغتي وشرابيبي الممتدة من أحد..<sup>(١٦)</sup>

ولم تكن المأساة الإنسانية مأساة فرد بل كانت مأساة مجموع، مأساة (وطن) لا سيما عندما يدقّ على أجراس مظلمة الاحتلال / الحكاية التي لم يرو لها مثيل، هي الأسطورة التي فاقت حدود العقلانية، هو الواقع المصطبغ بدماء الرعب والطغيان، هي صيغ التساؤل عن بقاء الوطن:

أتراني بعثك يا وطني وزنيم الليل استأثر بي

استوثق في قدمي العثرات.. أتراني بعثك ؟

ضيعني حبك يا وطني

وسط بغاة و دراويش ينجذبون على نقرات الدجالين

يهيمون لآخر العمر.. (١٧)

وقد قدمت شعرية التأمل عند (اليساري) المأساة الإنسانية على شكل نصائح عفوية جدا توزع

فيها الحزن والحب والعبء على حد سواء:

يستصرخون فدلني أي القلوب ستنبت

وبأي آيات العذاب ستستحيل فتتعت

أهواك حزن الطائفين على ثراك مؤقت

أما أنا خمر الحنين إذا ذوتك اللذة<sup>(١٨)</sup>

هذا مشروع شعر الشباب في الموصل الذي حمل على كاهله تصوير الحياة الواقعية بصيغ جمالية تقدم العلة، وتمثل المشهد المعيش، وتكشف عن المعنى الذي غدا الحزن فيه نتاجا لمكابدة الهم الإنساني، بوصفه متنا في صفحات الواقع، يكاد يرسم النص له صفة البقاء والثبوت، في حين سيغدو الحكي عنه قصا هامشيا يقوم بعملية مونتاج-لا أكثر-للمتون التي سبقته، وسيفتقر هذا الهامش إمكانية التمسك بمقاليده الأمور ما دامت الحلول لم ترق بعد إلى صيغ الحلول.

يصنع (الحلم المنتظر) عند الشاعر (جاسم محمد جاسم) بوصفه بؤرة (الوخزات) استراتيجيته الخاصة في إنتاج الدلالة وتشكيل الصور.

إنّ الثيمة المركزية لنصوص (الوخزات) تمثلت بسلطة المجاز التي احتكرت أسلوبها لتعزيز الدلالات، ويشكل الوجود المجازي علاقات بديلة تبقى مشتغلة داخل النص، هذا الوجود سيرسم (الحلم المنتظر) من خلال نسقين:

النسق الأول: حضور الحلم.

النسق الثاني: غياب الاحتراف.

عندما تعلن (الأنيّة) عن براعتها تترقب معاملة المثل بالمثل، لكنها عندما تجد (الغيريّة) قد أباحت إفلاسها واستهانت بالقيم، يبدأ دورها في تجميع الشتات وترقيع المآسي:

إليك

وأنا أخلط وجهك برذاذ حلم لم يكتمل

إليك وأنا أكتب في شرياني الأبهـر ربيعاً مثقلاً بالجفاف

كنت كلما نثرتني فوق أشواك غيابك

تألمت كثيراً

ولملمت نثاري

ووضعت تحت وسادتي لعلك تحتاجه يوماً ما<sup>(١٩)</sup>

وتقترن المعاني الحلمية بالمضامين الروحية التي تتحد مع فيضها، وتمارس الحيات لتلتف بطقوس مجانية، وتستشهد ببراءة يوسف، وضعف الفطرة، تصور نصوص (الحلم) مأساة الطفل العراقي الذي سُرِق من لعبه وملهياته، هي الحلوى أُبدلت بالرصاص، هو الحليب أُبدل بالدم، وذاك الحنين المُبدل بالحقد والظغينة، كيف ستُروى المأساة، وتُسطر...:

يا سيدي من ذا يصدقني وأنا المخضب من دم كذب

قدوا قميص العمر من دبر وتوزعوا لحمي بلا سبب

أكلوا خلاصته وما شكروا تاريخ إنتاجي على العلب<sup>(٢٠)</sup>

وفي النسق الثاني يحجب الحلم ليبدأ الاحتراف، الاحتراف في حلبة الحنين ومسرى المحبين، احتراف يسلك الاتجاه السلبي في عرض معاناته، ويكبل الأحزان، وسيضع جانباً ترانيم الليل ولاهوت الشوق، إنها وظيفة الكلمة المسؤولة، إنها جراح الظلم حين يكبو، إنها عشق الأرض ولوعة الغياب، إنها رياح الصبا عند تقبيل وجنات الحيارى، إنها الكابوس المطارد والشعلة التي لا تنطفئ:

صار اسمك اليوم كابوساً يطاردني وشوكة في دروب العمر تنتشل

صارت هداياك في أدراج مكتبتي شتائماً في دمي تنلّي فانفعل

فانشطبي من دمي ما عدت مكرثاً إذا لم يعد بيننا عتب ولا زعل<sup>(٢١)</sup>

يمثل النص الشعريّ منطلقات مهمة في تحديد هوية اللغة التي ستحمل بصمات دلالية تعلن عن توجهها، وتنبئ عن صيغ تشكلها، وتمتاز هذه اللغة بفرادتها، وتمثلها لغائية الرؤية ابتداء من

شعرية الكلمة وانتهاء بشعرية النص، وتُفتتح هاتان الشعريتان من خلال العنوان الذي يمثل ثمينة علامة للولوج إلى النص.

وديون (حلم الكلمات)<sup>(٢٢)</sup> محاولة جريئة للسفر إلى خارج متاهات اللغة للوصول إلى بناء شخصية دلالية لا تلجأ إلى الاجترار، ولا تركز إلى الجاهز، إنه مشروع فتي يريد تأسيس كلمة أنثوية موظفة تكتب بعين أنوية إنسانية، تعكس حلم المرأة وواقعها، وتبين هموم الجسد وتطلعاته، التي طالما غابت أو غُيبت عن مساحة الجسد المقدس نظراً لوجود الرقيب الذي منع حرية الكلمة كي تجسد صورتها، وتقدم إمكانياتها التي لا تقل أهمية عن منتج الآخر، إنه حلم الكلمات.. توجه نحو هوية أنثوية للغة.

تتمثل خصيصة (حلم الكلمات) بثميتين: الأولى ثمينة الحب، والثانية ثمينة الحرب، وقد دخلت هاتان الثميتان في جدلية نصية إنسانية انبثقت عنها تلك العنوانات المتعددة في هذا الديون، وتعكس هاتان الثميتان التراجمية النفسية الإنسانية التي نسجت النص الشعري وقدمته بصيغته الملزمة الجانحة نحو معالجة الهم وإدراك القصد، ووقفة متأنية للعنوانات الاثنتين والأربعين الواردة في هذا الديون تعكس هذا التصور، فضلاً عن أن الضمير الذي يحكم تلك العنوانات هو ضمير المخاطب الموجه نحو (الذكر) الذي حُمّل تركت تجربة (الأنثى) الأنثوية الهائمة بين توجيهين توجه الإعلاء من سطوة التحيز نحو (الأنثى)، وتوجه الحنين لاكتساب الآخر (المذكر)، ويعلن هذا التوجه عن رغبته انطلاقاً من (الإهداء) الذي رسم حنين العبير الأنثوي إلى تطلعات الذكر الغائب أو المتغيب، وقد ولدت القصيدة الأولى للديوان لتبين حنين الأنثى الذي تحول إلى أداة للانتقام ولممارسة ردة الفعل، وهذا الفعل لا يمثل الكره بقدر تمثله للعشق وللإشتياق:

لو كان بيدي..

لصنعت بحراً وهيجت موجاً

وأبحرت في عينيك دون قيود<sup>(٢٣)</sup>

ورغم محاولة النص بناء لغة أنثوية متعالية انطلاقاً من فرادتها إلا أنها لم تستطع أن تتزع عنها عصوراً خلت من الإرث اللغوي الأنثوي الذي يتسم بتبعيته للذكورة وعدم قدرته الانفصام عنها، فـ(الأنثى، والذكر، والرقيب) ثلاثية تسكن (حلم الكلمات)، وتقابلها ثلاثية: (الحب، والحرب، والحلم)، الأنثى تقدم الحب وتخلص له وتقرش عينيها للآخر وتتساب عبيراً ولآلى من أجل ذلك:

حين أكون معك  
يندي الفجر قلبي  
وتنسب في روعي الحياة<sup>(٢٤)</sup>  
ويتسم (الذكر) بالنسيان والهجر وجرح الحبيب وطلب الرحيل، وتقود كل تلك المعاني إلى  
لجوء الأنثى لتحويل الحب إلى حرب، وتحويل الفعل إلى ردة الفعل:  
مسكينة تظن بأن هذا الحب باقٍ  
وتتخذ السبيلا  
من الحزن متعةً  
ومن العذاب وسيلة  
والصبر سواح في سماها  
وقمر الليالي  
للحبيب بديلاً<sup>(٢٥)</sup>

أما الرقيب فيمثل سلطة متعالية، وإلهاً وهمياً يحاكم الكلمة قبل النطق بها، ويمارس طقوسه  
في معابد مظلمة لا تعرف تديناً، ولا تبني أملاً، ويقود هذا الرقيب اللغة إلى التفتت مرة، ومغادرة  
الواقع مرة أخرى لتسكن في فضاءات الحلم الذي يمثل هروباً من أجل تحقيق الأمنيات، وعالماً  
لإعادة توازن اللغة المقنعة.

قد تلجأ (الكلمة) إلى إخفاء قصدها، وتعويضه ببدلٍ حلمي لتبرير حبها، وقد تصل إلى طريق  
مجهول، فتعتمد إلى إعلان مدلولاتها وتنسب وسط الحنين، لكنها تبقى مكتسبةً سمة طفولية تفتت  
حباً، وتشرق زهراً، وتتوعد بإيصال غرضها إلى كل المحبين الذين جاشت المعاني في قلوبهم،  
وتدفتت نسائم وياسمين مُشكلةً حركة وحيوية تؤمن بنقاء المشاعر، وتلجأ إلى مغالطة العينين  
اللتين تكتنز حيناً يخشى الظهور، ويمارس استحياءً لعبة اختلاس المعاني، هذه هي تجربة (حلم  
الكلمات) الذي قدّم لحناً شجياً أطرب القلوب، ورسم الأمل، وأعلى من قيمة (الأنا) التي تحتاج إلى  
بيان منزلتها، وتحويل حلم كلماتها إلى واقع من نرجس يُعطر شذى الآخر.

ومن الجدير بالذكر أن النصوص السابقة قدمت المعاني من خلال دلالات إيحائية تزامنت  
بشكل تعاقبي لتكوين القصد وتقديم الصورة الصادقة لحجم المعاناة الإنسانية، كما حاولت عقلنة  
الخطاب من خلال تقديم صورة الواقع المرير، ومحاولة ربط ذلك الواقع بمحاولات الإصلاح

ولمس اليد لموضع الألم، هذه المحاولات (الموصلية) قضت على الصنمية التي تقيد الإبداع الإنساني في زوايا ضيقة، فالمعاني التي تتفق مع التصور الإنساني كثيرة-لا سيما ثيمة العراق المثقل بالجراح-ولم تغب قضية المعاناة الكبرى التي تعيشها نصوصنا اليوم: وهي الجدلية القائمة بين ثنائيات: (الظلم والمظلوم، الحصار والانفتاح، القيد والتحرر، المحتل والمستقل، الذل والعزة، السيادة والانحمار...)، أنها نصوص تجمل في طياتها خلفيات وقيم واقعية معيشة، إنها موجهات وتحيزات، إنها أهداف وصور ومقاومة.

إن ما تمتاز به هذه النصوص اكتحالها بصبغة تأملية عميقة غلبت عليها الوقفات المجهولة التي تدعو للبحث عن مدلولاتها، وقد تأتي ذلك من عدم تسمية الأشياء بمسمياتها، مما أوحى بالكبت الدلالي في النص، وما مفردات القيد والتلون بألوان العذاب إلا إحياء بذلك، انطلاقاً من القيد المعرفي، مروراً بالكبت وانعدام الحرية، وصولاً بالحجر الإنساني، الذي يعاني منه الخطاب الثقافي.

اصطبغت هذه النصوص بالظلمة النفسية، وبالعذاب النفسي الإنساني، وتعثرت وصول الشيء إلى مسماه، فثمة إنزياح في دلالات الأشياء، لكنها رسمت أفقا للتأمل والتفائل وهذا ما منحها سمة وخصوصية في الطرح والتناول، وثمة توقع لأشياء ستحدث، وثمة انتظار لمقاطع ومفارقات تحمل في طياتها انتعاشات الوجدان الشعري، إنها الذات الشعرية الملتزمة بتقديم الهم الإنساني المتفق مع التصور الإسلامي في الرؤية والتناول.

### الهوامش:

(١) اختلف النقاد الإسلاميون في تحديد الأديب المسلم أو النتاج الإسلامي وعده ضمن دائرة الأدب الإسلامي فذهب فريق إلى أن الأدب الإسلامي لا بد أن يصدر من أديب يحمل العقيدة الإسلامية وحسب، أما الرأي الثاني فيذهب إلى أن الأدب الإسلامي يشمل النصوص المنفقة مع التوجه الإسلامي سواء أصدرت من أديب يحمل العقيدة الإسلامية أم لا يحملها، كالشاعر الهندي (طاغور) الذي تتفق معانيه مع المعاني الإسلامية السامية في التعامل مع الإنسان والكون والحياة، ورأينا في ذلك أن الأدب الإسلامي يتسع للجميع، بشرط أن تتفق المعاني مع التوجهات الإسلامية المبنية على أسس لا تتقاطع مع الخطوط الحمر للشرع الإسلامي الحنيف، وبذلك يمكننا استيعاب نصوص عدة تحمل مضامين تتفق مع المضامين الإسلامية، ويمكننا أن نضع لها قسيماً في الأدب الإسلامي، نطلق عليه: (الأدب الإنساني) ويكون جزءاً من الأدب الإسلامي الواسع. للاستزادة في هذه المسألة ينظر: مصطلح الأدب الإسلامي بين أيدي الدارسين، احمد محمد حنطور. في النقد الإسلامي المعاصر، عماد الدين خليل. الأدب الإسلامي بين

المفهوم والتعريف والمصطلح، سعد أبو الرضا. نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، حكمت صالح. الأدب الإسلامي المعاصر، عماد الدين خليل. الأدب الإسلامي، عدنان النحوي. الإسلامية والمذاهب الأدبية، نجيب الكيلاني. مدخل إلى الأدب الإسلامي، نجيب الكيلاني، الأدب الإسلامي في خدمة الإنسانية، عبد القدوس أبو صالح. الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، محمد بن سعد. تغريب الأدب الإسلامي، أيوب جرجيس القيسي.

(٢) في الأدب الإسلامي المعاصر، محمد حسن بريغش: ٣٦.

(٣) حوار بين المشرق والمغرب، حكمت صالح: ١٧٢.

(٤) سورة الفتح، من الآية: ٢٦.

(٥) حوار بين المشرق والمغرب: ١٧٢.

(٦) الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح: ٩٥.

(٧) جماليات الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي: ٣٧.

(٨) قصيدة مطر، عمر عناز.

(٩) قصيدة يا سامري خطاي، عمر عناز.

(١٠) قصيدة رعاف الأثيلاء، حاتم حسام الدين.

(١١) قصيدة: بالأمس، ديوان: هوامش على متن الحزن، أحمد جار الله.

(١٢) المصدر نفسه، قصيدة: أحزان: ٤.

(١٣) قصيدة (قطرة.. قطرة)، ديوان ما تتأثر من حقيبتها، أحمد جار الله.

(١٤) قصيدة من دون قصد: (مجموعة: أخطاء شعرية)، أحمد جار الله.

(١٥) قصيدة مجاهل الغوث، خالد اليساري.

(١٦) قصيدة خيانة الوطن، خالد اليساري.

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) قصيدة توبة على باب المراد، خالد اليساري.

(١٩) ديوان: وخزات في جدار الشرنقة، جاسم محمد جاسم.

(٢٠) المصدر نفسه، قصيدة: يوسف البغدادي: ٨.

(٢١) المصدر نفسه، قصيدة: جفاف: ٢٩.

(٢٢) ديوان حلم الكلمات، الآء عبد الواحد ذنون.

(٢٣) المصدر نفسه، قصيدة: لو كان بيدي: ٥.

(٢٤) المصدر نفسه، قصيدة: وقفة حب: ٦.

(٢٥) المصدر نفسه، قصيدة: أسالك الرحيلا: ٢٢.

## المصادر والمراجع: الكتب العربية

- الأدب الإسلامي (إنسانيته وعالميته)، عدنان النحوي، دار النحوي، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٨٧.
- الإسلامية والمذاهب الأدبية، نجيب الكيلاني، مكتبة النور، طرابلس-لبيبا، ط١، ١٩٦٣.
- جماليات الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، الدار البيضاء-المغرب، ط١، ١٩٨٦.
- ديوان: حلم الكلمات، الآء عبد الواحد ذنون، الموصل، ٢٠٠٤.
- ديوان: ما تتأثر من حقيبتها، أحمد جار الله، الموصل، ٢٠٠٣.
- ديوان: هوامش على متن الحزن، أحمد جار الله، الموصل، مكتب النور، ١٩٩٩.
- ديوان: وخزات في جدار الشرنقة، جاسم محمد جاسم، الموصل ٢٠٠٠.
- في الأدب الإسلامي المعاصر، محمد حسن بريغش، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، ط٢، ١٩٨٥.
- في النقد الإسلامي المعاصر، عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨١.
- مجموعة: أخطاء شعرية، أحمد جار الله، الموصل، ٢٠٠٣.
- محاولات جديدة في النقد الإسلامي، عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨١.
- مدخل إلى الأدب الإسلامي، نجيب الكيلاني، كتاب الأمة، الدوحة-قطر، ط١، ١٩٨٧.
- نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، حكمت صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط٣، ١٩٨٨.
- البحوث المنشورة في الدوريات والإتريتي:**
- الأدب الإسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح، سعد أبو الرضا، مجلة الأدب الإسلامي، لكنهو-الهند، العدد ٧ لسنة ١٩٩٥.
- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، محمد بن سعد بن حسين، مجلة الأدب الإسلامي، لكنهو-الهند، العدد ١ لسنة ١٩٩٣.
- الأدب الإسلامي في خدمة الإنسانية، عبد القدوس أبو صالح، مجلة الأدب الإسلامي، لكنهو-الهند، العدد ١ لسنة ١٩٩٣.
- الأدب الإسلامي المعاصر (المعضلات ووسائل الدعم)، عماد الدين خليل، مجلة المشكاة، المغرب، العدد ٢، ١٩٨٣.
- تغريب الأدب الإسلامي، أيوب جرجيس القيسي، مجلة المنتدى، صنعاء-اليمن، العدد ٣٠، ١٩٨٦.
- حوار بين المشرق والمغرب، مقابلة مع الشاعر الإسلامي حكمت صالح، أجرى اللقاء: سعيد ساجد الكرواني، مجلة المنعطف، المغرب، العدد ٣-٤، ١٩٩٢.
- قصيدة توبة على باب المراد، خالد اليساري، مجلة مناهل جامعية، تصدر عن جامعة الموصل، العدد ٢ لسنة ٢٠٠٥.



- قصيدة خيانة الوطن، خالد اليساري، صحيفة ومضات جامعية، تصدر عن جامعة الموصل، العدد ١٣، بتاريخ: ٣٠ / ٧ / ٢٠٠٤.
- قصيدة رعاف الأشياء، حاتم حسام الدين، منشورة على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت)
- قصيدة مجاهل الغوث، خالد اليساري، منشورة على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت).
- قصيدة مطر، عمر عناز، صحيفة الزمان، لندن، العدد ٢٤٢٤، بتاريخ: ١٢ / ٦ / ٢٠٠٦.
- قصيدة يا سامري خطاي، عمر عناز، صحيفة الزمان، لندن، العدد ٢٣٨٦، بتاريخ: ٢٩/٤/٢٠٠٦.
- مصطلح الأدب الإسلامي بين أيدي الدارسين، احمد محمد حنطور، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٥ لسنة ١٩٨٥.